مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد12/ العـدد: 02 (2024)، ص: 127-140

ديستوبيا الوباء الفكري في رواية "اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى" لبشير مفتي.

The dystopia of the intellectual epidemic in the novel “The Mixing of Seasons or the Great Murder Feast” by Bashir Mufti

راوية شاوي[1]،

[1] **جامعة 8 ماي 1945، قالمة (الجزائر)،** chaoui.rawia@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/29 تاريخ القبول: 2024/05/18 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

تروم هذه الورقة العلمية البحثَ في **ديستوبيا الوباء الفكري في رواية "اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى" لبشير مفتي**، لتميط اللثام عنهما (الدّيستوبيا والوباء الفكري)، وعن مدلولاتهما، والهدف فضح الواقع الجزائري إبّان العشرية السّوداء، المتخبّط في أفكاره البالية التي أدّت إلى انهيار الأخلاق وانتشار القتل والموت. فكيف تجلت ديستوبيا الوباء الفكري في الرواية؟ وما المقصود بهما؟

كلمات مفتاحية: الديستوبيا، الوباء الفكري، أدب الوباء، القتل، الرواية.

Abstract:

This scientific paper aims to investigate the dystopia of the intellectual epidemic in the novel “The Mixing of Seasons or the Great Murder Banquet” by Bashir Mufti, in order to uncover them (dystopia and the intellectual epidemic), and their meanings. The goal is to expose the Algerian reality during the dark decade, which was floundering in its outdated ideas that led to the collapse of Morality and the prevalence of killing and death. How was the dystopia of the intellectual epidemic manifested in the novel? What are they meant by?

Keywords: Dystopia, intellectual epidemic, epidemic literature, murder, the novel.

***المؤلف المرسل:** راوية شاوي

1. مقدمة

لعلّنا لا نغالي إذا قلنا أنّ الأدب والفنّ منذ نشأتهما اهتمّا وانشغلا بالحياة الإنسانية بما تزخر به من سلوكات وأفكار ومشاعر... فراحا يجسّدان حياة الإنسان بمتناقضاتها؛ في حلوها ومرّها، وفي آلامها وأفراحها، ولهذا نجد المبدعين والنقّاد منهم من انطلق من مقولة أنّ **الأدب ابن بيئته**، أو ما عبّر عنه روّاد المنهج التّاريخي في النّقد وخاصّة **سانت بيف** (S.Bueve) في اهتمامه بدراسة حياة الأديب منطقا من مقولته الشّهيرة «**كما تكون الشجرة يكون ثمارها**» (وغليسي، 2007، صفحة 16)، وفي ذلك إذكاء للرّوح الفردية العالية.

لقد عُنيت الآداب العالمية والآثار الأدبية الخالدة منذ القديم بالبشرية، وكانت صورة عاكسة للحياة بمختلف توجّهاتها السياسية، والثقافية، والدينية، والاقتصادية، والفكرية... ومن أبرز الموضوعات التي تناولها الأدب هو موضوع الموت وفكرة الخلود والبحث عنه وعن إكسير الحياة، ولا أدلّ من ذلك الملحمة البابلية "جلجامش" التي صوّرت معاناة الإنسان وخوفه من الموت. هذا الأخير الذي هو حتمية للكائنات الحية جميعا، وقد يكون لأسباب كثيرة، لعلّ المتسبب الأكبر فيه هو الإنسان بسلوكاته العدوانية والعنيفة، أو بسبب أفكاره الهدّامة التي يمكن أن نطلق عليها مسمّى **الوباء الفكري**، هذا الوباء بدوره يؤدّي إلى تدهور الحياة وموت إنسانية الإنسان ممّا يخلق نوعا من **الدّيستوبيا**، والخوف والقلق الوجودي.

وفي عصرنا الحديث، ونتيجة للتطور العلمي والانفتاح الحضاري، وتلاقح الشّعوب صار العالم قرية صغيرة مليئة بالأحداث والحوادث والجرائم والحروب والموت والقتل... أدّت إلى تأزّم الحياة البشرية، وخلق صراع فكري وحضاري وأخلاقي بين الأمم وربّما بين أفراد الشّعب الواحد والأمّة الواحدة، وبرزت الرّواية كجنسٍ أدبيٍ قادر على كشف بواطن الشّخصيات، وتعرية الواقع من زيفه الحضاري، ومن وبائه الفكري

ووضعه الديستوباوي، من هذا المنطلق، تروم هذه الورقة العلمية إلى البحث في **ديستوبيا الوباء الفكري في رواية "اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى" لبشير مفتي**، لتميط اللثام عنهما، وعن مدلولاتهما في الرواية الجزائرية المفتية (نسبة إلى مفتي)، الفاضحة للواقع الجزائري المتخبّط في أفكاره البالية التي أدّت إلى انهيار الأخلاق وانتشار الفوضى والقتل والموت. فكيف تجلت ديستوبيا الوباء الفكري في الرواية؟ وما المقصود بالديستوبيا والوباء الفكري؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة، سنعرّف مصطلحات الدّراسة كالديستوبيا، والوباء الفكري، وأدب الوباء، لنستطيع تجليتهم من الرواية مدار الدّراسة، والدلالات المبتغية من وراء التوظيف، أمّا الهدف فيكمن في محاولة قراءة الرواية لاكتشاف العوالم الديستوبية الخفية فيها، والتي كانت نتيجة للوباء الفكري في المجتمع الجزائري من جراء العشرية السوداء.

2. مفهوم الدّيستوبيا:

الدّيستوبيا (Dystopia) أو ما يُعرف باسم **المدينة الفاسدة**، وهو مصطلح يوناني قديم يعني المكان الخبيث (**وأسوء مدينة، والجحيم ...**)؛ وهو عكس اليوتيوبيا التي تعني المدينة الفاضلة، وبالتالي فإنّ الديستوبيا هي نقيض اليوتيوبيا، فهي المدينة التي تئنّ تحت وطأة الرّذيلة، وكلّ أنواع القمع والحرمان، والموت، والعنف ... وتكون الكوارث والحروب والأزمات هي أقوى مصادر الديستوبيا.

وقد استُخدم هذا المصطلح لأوّل مرّة في منتصف القرن الثامن عشر، من قِبل الفيلسوف والاقتصادي الإنجليزي **جون ستيوارت ميل** J. S. Mill(1806/ 1873م) في أحد خطاباته البرلمانية سنة 1868م بخصوص شجب سياسة الحكومة المتعلقة بالأراضي الأيرلندية، وقال في ذلك:« **ربما يكون إفراطا في الإطراء (المدح) أن يدعوهم المرء "طوباويين"، بل ينبغي بالأحرى أن يطلق عليهم "ديستوبيين"**» (العشري،، صفحة 281).

والأدب الدّيستوبي أو أدب المدينة الفاسدة هو أدب يعكس واقعا مريرا غير قابل للعيش فيه؛ «**فهو مجتمع خيالي مخيف، تسوده الفوضى وعدم النّظام، ومن أبرز ملامحه الخراب، والقتل، والإرهاب، والموت، والقمع، والفقر، والمرض. وحين يكتب الرّوائي فإنّه يرصد الواقع الموجود، فيصوّر المكان واقعا لمجريات**

الأحداث، ومن هنا يأتي استخدام ديستوبيا المدينة في الرواية» (القريناوي، 2023، صفحة 3).

وقد عُرف هذا المصطلح عند الكاتب **جورج أورويل** في روايته **1984** التي تصف العالم المليء بالحروب والرقابة الحكومية والتلاعب بحياة الناس ومصائرهم، كما كُتبت روايات عديدة في هذا الموضوع منها The Hunger Game ألعاب الجوع لـ**سوزان كولبنز**، ورواية The host لـ**ستيفاني ماير**، ورواية **فهرنهايت** 451لـ**راي برادبري**، و**آلة الزمن** لجورج ويلز، وعالم **جديد شجاع** لـ**أدولف هكسلي**، وغيرها من الروايات الديستوباوية المتنبّئة بمستقبلٍ قاتمٍ تسوده الفوضى والعبثية.

أمّا في الأدب العربي، فقد ظهرت عديد الروايات ضمن أدب الديستوبيا، نذكر منها على سبيل المثال: رواية **عطارد** لـ**محمد ربيع**، الصادرة سنة 2014، المصورة لمستقبل العالم العربي لسنة 2025، ورواية المصري **عمر حاذق** المعنونة بـ**روائي المدينة الأول**، و**أحمد توفيق** في روايته **في ممر الفئران**، والفلسطيني **إبراهيم نصر الله** في **حرب الكلب الثانية**، والروائي الأردني **أحمد الزّعتري** في روايته **الانحناء على جثة عمان** والتي منعت من الصدور، والجزائري **واسيني الأعرج** في رواية **1984 حكاية العربي الأخير**...

لقد استدعى أدب الديستوبيا الشّعور بالإحباط واليأس الجاثمين على حياة الإنسان في مجتمع ما، يسوده العنف، والقهر، والقمع ... وربّما كان الدّافع الرّئيس وراء بروز هذا النوع من الأدب في الأدب العربي في الآونة الأخيرة هو أنّه جاء ردّ فعل على الهزائم المتتالية بعد فشل ثورات الربيع العربي، ويمكن القول أنّ كتابة الأدب في حدّ ذاته تسمح للمبدع بحرية أكثر بعيدا عن واقع يعبّر فيه عن ذاته.) عقيل(2017 ,

وغالبا ما يُستعمل مصطلح الديستوبيا للإشارة إلى مجتمع وهمي موجود غالبا في بيئة مستقبلية سيئة، وتكون اتجاهاته وغاياته متشائمة ورهيبة) شلحت) ,لا ت(28 .p ,(، انطلاقا من المشاهدات العيانية للواقع المرير؛ إذ يتّخذ الفضاء الديستوبي من فساد الزّمن الحقيقي والمكان الواقعي نقطة انطلاق نحو مستقبل مغاير، قد يكون أكثر سوداوية أو أكثر إشراقا، وبالتالي فالدّيستوبيا مصطلح يُقصد به توضيح معالم فساد المدن والشّخصيات في الأعمال الأدبية.

وقد اتّخذت الدّيستوبيا في الأعمال الروائية العربية المعاصرة، شكلا نمطيا متعارفا عليه؛ إذ يتحوّل النّظام البشري إلى آلة تطحن الإنسان وتستغلّه أبشع استغلال، وخاصّة بوجود وسيطرة رأس المال، (القللي، 2021، صفحة 946) والقوّة بمختلف أنواعها، فنجد في رواية **حطب سراييفو** للروائي الجزائري **سعيد خطيبي** بروزا للدّيستوبيا في مدن وبلدان أكلتها الحروب الأهلية المدمّرة، ما أدّى إلى الهجرة بحثا عن لقمة العيش، وتمثّلت في البطلة الكرواتية **إيفانا** الهاربة من العنف الأسري، وأثر الحروب، متجهة إلى الاستغلال الجسدي من قبل صاحب المطعم العربي السيد **أحمد** عمّ البطل سليم، مستغلا حاجتها الماسّة للمال، كما استغّلها صديقها **غوران** جسديا أثناء ترجمته لمسرحيتها للغة الإنجليزية، وبالتّالي فإنّ أشكال الدّيستوبيا ستظهر في عوامل القهر والسّلب والاغتصاب.

ولعلّ أدب الخيال العلمي من أكثر الأنواع الأدبية توظيفا للديستوبيا، لما له من رؤية استشرافية للمستقبل، وهذا ما نجده عند الروائية الكويتية **طبية أحمد الإبراهيم** في روايتها **الكوكب ساسون عالم محنون**، من خلال سيطرة رجال العلم على العلماء الذين سافروا إلى الفضاء في رحلة علمية استكشافية، تبحث عن كوكب آخر أو مكان بدل الأرض قابل للحياة والعيش فيه، فبعد رجوعهم من مهمّتهم النّاجحة، اتُّهموا بالجنون وفقدان العقل، لأنّ الكوكب ساسون أثّر على قشرتهم المخيّة.

3. مفهوم الوباء الفكري:

1.3 . مفهوم الوباء: الوباء مصطلح قديم، عُرف منذ الأزل أثناء تفشّي الأمراض الخطيرة والمستعصية؛ حيث كان يفتك بالآلاف من البشر، ويروحون ضحيّته، «**وقد ظهر في تاريخ الإنسانية عدد من الأوبئة والأمراض، كـ:الطاعون، والحصبة، والكوليرا، والملاريا، والأنفلونزا الإسبانية، و انفلونزا الخنازير. وظهر في الآونة الأخيرة التي نعيشها الآن مرض أطلق عليه اسم: فيروس كورونا (covid-19)**» (مخلوف، صفحة 362).

ويعني من النّاحية اللّغوية كما ورد في المعاجم العربية وخاصّة **لسان العرب لابن منظور:« وَبَأَ الوَبَأُ: الطّاعونُ بالقَصْرِ والمَدِّ والهَمْز، وقيل: هو كلُّ مَرَضٍ عَام، وفي الحديث: إِنَّ هَذَا الوَبَاءَ رَجْزٌ، وجَمْعُ المَمْدُودِ، أَوبِئَة، وجَمْع المقصُورِ أَوْبَاءٌ، وقد وُبِئَتْ الأَرْضُ تَوْبَأَ. وَبَأ. ووبُواتُ وبَاءً، و إِبَاءَةً على البدلِ، وأَوْبَأَتْ إِيبَاءً، وَوَبِئَتْ تَيْبَأً،**

وَوَبَاءٌ، وَأَرْضٌ وَبِيئَةٌ على فَعِيلَةٌ، وَوَبِئَة على فَعِلَةً، وَمَوْبُوءَةٌ، ومَوْبِئَةٌ: كثيرة الوَبَاءِ، واسْتَوْبَأَ الأرضُ: اسْتَوْخَمَهَا وَوَجَدَهَا وَبِئَةً. والبَاطِلُ وَبِيءٌ لا تُحْمَدُ عَاقِبَتَهُ» (منظور، 2008، صفحة 141)؛ ممّا يعني أنّ الوباء مرض ينتشر في الأرض ولا تحمد عواقبه، ويكون نتيجة أسباب مختلفة.

ومن اللّغويين من جعل الوباء مرادفا لكلمة الطّاعون؛ فقد ورد في **المعجم الوسيط** أنّ: «**الوَبَأ: هو الطّاعون، وهو كلّ مرض فاش عام، (ج) أوباء**» (العربية، 2004، صفحة 1008)، كما أُطلِق الوباء في الموروث الحضاري والتّاريخي على الطّاعون؛ و«**الوباء هو الطّاعون وهو مرض يعمّ الكثير من النّاس في جهة من الجهات دون غيرها بخلاف المعتاد من أحوال النّاس وأمراضهم، ويكون مرضهم غالبا مرضا واحد بخلاف سائر الأوقات، فإنّ أمراض النّاس مختلفة** » (مخلوف، صفحة 365) وهو الأمر الذي أكّده **ابن الأثير** بقوله: «**الوباء بالقصر والمدّ والهمز: الطّاعون والمرض العامّ**» (مخلوف، صفحة 365). ولكن ليس كل وباء طاعونا؛ فقد بيّن العلامة **ابن القيم** أنّ بين المصطلحين عموما وخصوصا؛ «**وأنّ الوباء أعمّ من الطاعون، وأنّ الطاعون أحد أصناف و أنواع الوباء**» (الله، 2020، صفحة 533)، والأوبئة تختلف وتتعدّد من عصر لآخر، والطاعون هو «**داء ورمي وبائي، سببه مكروب يصيب الفئران، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان**» (العربية، 2004، صفحة 558)، بمعنى أنّ الوباء والطّاعون مرض معدٍ ينتقل من شخص لآخر، بطرق مختلفة.

ونظرا لما تحدثه الأوبئة من آثار سلبية على البشرية من الناحيتين الجسمية والنّفسية، فإنّ ما بعد الوباء يكون كارثيا؛ وذلك لما تتركه الأوبئة على نفسية الإنسان المحطّمة، فينتج نوع من العداء أو تفشّي بعض العادات والتقاليد البالية، أو ظهور وباء فكري من شأنه الانتشار بسرعة والتغلغل في أوساط المجتمعات، ويمكن أن يخرج من حدود القومية إلى العالمية.

عادة ما يرتبط الوباء الفكري بالأمراض الفكرية النّاتجة عن المجتمع، ويقصد به مجموع الأفكار والأفعال الصادرة عن الفرد أو الجماعة نتيجة وجود أنوميا (كزيز، 2022، صفحة 31) (خلل معياري في المجتمع) على مستوى التفكير التي غالبا ما تنتج مجموعة من المحددات كتضخم الأنا والنرجسية والوهم الاجتماعي، الأفعال والصفات المرفوضة، وهي تعبير عن غاية لإرضاء نفس الفرد دون مراعاة الآخر وغالبا

ما لا يشعر الفرد فيها بأنّه مخطئ، ممّا يعني أنّ الوباء الفكري هو حالة اجتماعية مرتبطة بفكر الفرد وذاته، تؤدّي إلى غياب التعايش الحضاري بين الجماعات والأفراد، وينتج عنها أفعال واهمة غير حقيقية. (كزيز، 2022، صفحة 31)

2.3 مفهوم أدب الوباء:

لقد ظهر مصطلح جديد في القرنين التاسع عشر والعشرين ميلادي، يتناول تمظهرات الوباء في الأدب، وقد سمّي بعديد المصطلحات منها: **أدب الوباء، وأدب الكوارث، وأدب الطّاعون، وأدب النوازل، وأدب النهايات**... وهو «**تلك الأعمال الأدبية شعرية كانت أم نثرية التي تتخذ من موضوع الوباء محورا تُبني على أساسه قصّة أو قصيدة أو رواية عن طريق استلهامه من الواقع الذي يعيشه أو يشاهده الأديب، فيكون هذا الأدب نسخة وصورة لهذا الواقع (...) ويصنّف هذا الأدب ضمن ما يُعرف بأدب الكوارث وهو الأدب الذي يُعنى بكل ما يعانيه الإنسان بسبب الأمراض أو الكوارث الطبيعية كالزلازل أو الظواهر الاجتماعية كالانتحار وغيرها؛ أي هو الأدب الذي يصوّر مآسي الإنسان**» (خشة، 2022، صفحة 214)، وهذه المآسي كثيرة ومتنوعة ومصادرها أيضا.

وقد عُني الأدب منذ القديم بتصوير مآسي الإنسان من مظاهر اجتماعية أو أوبئة مرضية أو فكرية، وخاصة مع ظهور وباء كورونا في السنوات القليلة الماضية ومخلفاته، برزت إلى الأفق أهمية معالجة ودراسة موضوع أدب الأوبئة، الذي يعتبر «**أدبا كونيا، وأدب الجماعات الإنسانية الكبرى بمتخيّلها الجمعي، وحتى الشّخصي، وهو أدب تشكّل عبر قرون طويلة وخلّدته الذاكرة البشرية في بعض الأنواع الأدبية شعرا فنثرا، وأساطير، وملاحم، وفي أصناف أدبية لا حصر لها، هو أدب عابر للقارات والأجناس والعرقيات، ليتخطاها ليكون الجميع نموذجا واحدا يترقّب الموت**» (ياحي، 2022، صفحة 5)؛ إذ قد لا يسلم أحد من خطورته أو الإصابة به نظرا لسرعة تفشّيه، وكونه لا يفرّق بين العرقيات الأجناس والطبقات.

وقد خلّد الأدب العديد من الأوبئة والطواعين عبر التّاريخ، ومن أشهرها مسرحية **أوديب الملك** للمسرحي اليوناني **صوفوكليس (ق5ق م)**، وأثر الوباء على مملكة طيبة، بعد أن تفشّى فيها وهلك أهلها، وقد عرف الأدب العربي هذا النوع من الأدب وخاصة مع رائدة الشعر الحر العراقية **نازك الملائكة** في قصيدتها الشهيرة **الكوليرا**، التي

صوّرت فيها الوباء الذي عصف بالشعب المصري، مبررة حجم المعاناة والألم النفسي القوي اتجاه الضحايا، وما خلّفه الوباء من صرخات وأنّات... تقول: (الملائكة، 1998، صفحة 135)

سكَن الليلُ
أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ
في عُمْق الظلمةِ، تحتَ الصمتِ على الأمواتْ
صَرخَاتٌ تعلو تضطربُ
حزنٌ يتدفّقُ يلتهبُ
يتعثَّر فيه صَدى الآهاتْ
في كل فؤادٍ غليانُ
في الكوخِ الساكنِ أحزانُ
في كل مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُماتْ
في كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ
هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ
الموتُ الموتُ الموتْ

وفي الرّواية العربية فقد ظهرت مجموعة قليلة من الروايات ضمن أدب الوباء، نذكر منها: رواية **ملحمة الحرافيش** للمصري **نجيب محفوظ**، ورواية **إيبولا 76** للروائي السوداني **أمير تاج السر**، أمّا في الأدب الغربي فقد ظهرت منذ القديم أعمال أدبية صوّرت الأوبئة وأضرارها وانعكاساتها، منها **حكايات الديكاميرون لبواكاشيو**، وقصة **قناع الموت الأحمر** للأمريكي **إدغار ألان بو**، **ومجلة الطاعون لدانيال ديفو** (1842)، ونهاية **العالم لستيفن كينغ**، **وكونتر** في روايته **عيون الظلام**...

4. ديستوبا الوباء الفكري في رواية اختلاط المواسم:

لا ينفصل الأدب عن ثقافة المجتمع وظروفه، وكلّ تحوّلات الزّمن والمجتمع، تكاد تتماهى مع تحوّلات الأدب الجزائري وتوجّهاته، والذي انبثق للحفاظ على الهوية الجزائرية (العربية الإسلامية)، والالتزام بكلّ قضايا الوطنية، فقد ألقت العشرية الحمراء بدمويتها وعنفها وظلالها على الفرد الجزائري، وكانت وراء أدبيات الألفية الثالثة في الجزائر، والقصد من وراء ذلك التوظيف هو البحث عن الأمل

واليقين بغدٍ مشرق ومشرّف، وعودة الأمن والاستقرار للوطن تعويضا عن بؤس الماضي والحاضر.

نشأت في المجتمع الجزائري عدّة أمراض فكرية ووبائية، قسّمت من خلالها الجزائريين إلى ضحايا أو قتلة مجرمين؛ بحيث يرى كل منهم نفسه ضحية للآخر، ولعلّ من أكثر موضوعات أدب الوباء الفكري في رواية **اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى** لصاحبها **بشير مفتي** هي كالآتي:

1.4. جدليتي الحياة والموت/ واللذة والألم: لا نغالي إذا قلنا أنّ **بشير مفتي** قد زخرت رواياته بفكرة الموت الحتمي للشخصيات الورقية، سواء في روايته **اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى**، أم في رواية **أشباح المدينة المقتولة**؛ إذ تتجلى لنا فكرة الموت أو القتل في كلتا الروايتين، اللتين تنتهيان بموت الشخصيات بطرق مختلفة. فكانت مادّة الموت مخيّمة على الفضاء الدلالي للروايتين؛ حيث تبرز في **اختلاط المواسم** شخصية البطل القاتل المحترف، الذي تعامل مع الموت من منطلق **مبدأ اللذة** والنّشوة التي تحقق له ما أسماه **فرويد بـالإيروس (حب الحياة)** متبنيا ثنائية **الموت/ الحياة**؛ فالموت يحقق له الحياة، لذا كان حبّ الفناء والإبادة يكتسح فؤاده وعقله (التيناتوس). ويعدّ مبدأ اللذة «**نزعة تعمل في خدمة وظيفة، وهذه الوظيفة تهدف إلى تحرير الجهاز النفسي تحريرا تامّا من الاستثارة أو إلى الإبقاء على مقدار الاستثارة ثابتا أو الاحتفاظ به في أقل مستوى ممكن**». (فرويد، (لا ت)، صفحة 104، 105)

شكّلت جدلية الحياة والموت في الرّواية من جانب البحث عن الهوية لدى القاتل؛ إذ تشكّلت لديه هوية فردية أو ذاتية نابعة من العنف والقتل تحقيقا للذة، والهوية الفردية هي «**مرحلة الأنا مرحلة النّفي (...) التي تظهر في السّنة الثّالثة من عمر الطفل تقريبا، بحيث يصبح الطّفل قادرا على الإشارة إلى ذاته بعبارة "أنا" مبرزا وعيه الشّخصي بذاته إزاء إرادة الغير المضادة لإرادته وإزّاء اللاأنا أو العالم الخارجي**» (سعيد، 2004، صفحة 58)؛ ليتعرّف الطّفل على ذاته من خلال وعيه بوجوده.

تبدأ ملامح تشكّل هوية البطل في الظّهور منذ الصّفحات الأولى للرّواية، حين بدأ يسرد للقارئ قصّته الغريبة والمختلفة؛ فهو شخص لا يشبه الآخرين في سلوكهم وتصرّفاتهم، واعتقاداتهم، يقول: «**رغم أنّي منذ صغري كنت أشكّ في وجود شيء في**

السّماء. أعذروني؛ لأنّي أختلف عنكم! لأنّي لا أشبهكم! (...)» (مفتي، 2019، صفحة 12).

تعي الذّات حقيقة وجودها وتميّزها عن الآخرين، انطلاقا من الأحاسيس والأفكار التي تراودها، وحقيقة أنّ اختلافه هذا يشكّل قوّة خفيّة وسعادة لا يشعر بها إلّا هو؛ ذلك أنّه منذ الصّغر اكتشف انّه ليس كبقية تِربِهِ من الأطفال، فقد كان يحبّ العزلة في غرفته الواسعة، ولا يتكلّم كثيرا، مزهوا بنفسه ومغرورا، يفضّل الاعتماد على النّفس، وربّما أوّل مرّة اكتشف فيها ذاته وحقيقته حين قام بأوّل جريمة قتل، وكانت القطّة الضّعيفة ضحيّته الأولى، فقد كانت قطة والدته المدلّلة، لكّنه كان يتذمّر من دسّ لسانها في الطّعام، وكان منظرها يزعجه، وكثيرا ما يقوم بركلها حتى تطير في السّماء، وهذا ما يحدث في كلّ مرّة إلى أن لحقها ذات مرّة بعد أن استفزّته، يقول: «**وكانت فقط قوّة خفية بداخلي تقول لي خذها إلى مكان خفي، وأخنق رقبتها بيديك حتى تلفظ أنفاسها، وهذا ما قمت به بالفعل، تحت تأثير صوت داخلي ملحّ، جعلني أقتل لأوّل مرّة، تلك التّجربة التي لن أنساها طوال حياتي، لقد أحسست بالقوّة قبل التّنفيذ وباللذة الغريبة بعد التّنفيذ! كانت تجربة نادرة ومؤثرة ومحدّدة لطريقي كي أصبح قاتلا فيما بعد!**» (مفتي، 2019، صفحة 19) وكان العنف ضدّ الحيوان البداية لولوج عالم الجريمة من بابه الواسع.

إذن، القتل هو هويّة البطل، وذاتيته، وتحقّقه الفعلي، لأنّه يحقّق له السّعادة المطلقة واللذة التي لا تضاهيها لذّة أخرى. ومن أجل الحصول على هذه الهوية وتبقى صفة لازمة له، استغل بنيته الجسدية القوية، وتفوّقه في الدّراسة، إضافة إلى الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت تحت وطأة الحرب الأهلية في العشرية السوداء، فالتحق بسلك الأمن (الشّرطة) باحثا عن وجوده وهوّيته، ولكن ظهرت عقبات في الأفق وتشكّلت له أزمة في الهوية.

2.4. الأنثى المهمّشة: تتجلّى في الرواية أزمة الأنثى أو المرأة العربية وحدود الحرية التي تخرجها من بوتقة العادات والتقاليد البالية، والنظر إليها كسجد فقد ووعاء للإنجاب، إلى الرّغبة في الانتقام أولا ثم الموت؛ إذ تنتشي **سميرة قطاش** أستاذة الأدب العربي بالجامعة الجزائرية بتعذيب **فاروق طيبي** دون وجه حق، ودون ذنب اقترفه، سوى أنّه

أحبّها، وبعدها رغبتها الشديدة في الموت بسلام وبهدوء على يد القاتل المحترف، والذي لبّى رغبتها في قتلها، بعدما انتقم لجسدها المغتصب من معذّبيه.

لقد عانت سميرة من التعنّت الذّكوري، واستغلالها جسديا، كما كرهت نفاق المثقّفين وزيفهم العلمي والاجتماعي، وقرّرت الهروب بعيدا ربّما إلى حيث اللارجوع، فعندما التقت بالبطل القاتل أدرك بفطنته أنّها تبحث عن الموت، وأفصحت له عن ذلك حين أبدت فلسفتها السّوداوية للحياة:« **ما أريده الآن هو أن أنسى كل هذا، أن أموت، ربّما الموت هو الذي يحقّق وعده الحق، ينهي الصّراع ويقضي على الأوهام كلّها....** (مفتي، 2019، صفحة 96) » .

فجّرت سميرة رغبة القتل في نفس القاتل من جديد، ليغدو القتل هذه المرّة انتقاما من الرجال الذين دمّروا حياتها، وغيّروا تفكيرها، يقول القاتل:« **لقد فتحت سميرة قطاش شهيّتي لأكون بجانبها، وشهّيتي لأقتل من أجلها، لقد قرّرت أن انتهي من جميع الرّجال الذين سبّبوا لها كلّ تلك الآلام. لن ينقذهم مني أحد.. كان ذلك قراري الأخير** (مفتي، 2019، صفحة 97)»، وتبدأ رحلة الانتقام والقتل واحدا تلوى الآخر، كلّ ذلك من أجل امرأة آمنت بالحبّ ولكّنها قوبلت بالتعنّت الذّكوري؛ ذلك أنّ المجتمع الجزائري يؤمن بالهيمنة الذّكورية على حساب السعادة، فالمرأة عنده خلقت للإنجاب لا للفكر والتقدّم، هي جسد وشهوة وليست أحاسيس ومشاعر.

لقد اتّجهت الرّواية الجزائرية في العقود الأخيرة إلى الواقعية، التي تعبّر عن مأساة الفرد والمجتمع الجزائري على السّواء؛ حيث جسّدت حجم معاناة الشعب الجزائري خاصة والعربي عامّة، من كلّ أنواع القهر النّفسي والسّلطوي، والتخبّط في الأزمات السياسية والاقتصادية، والدينية... ممّا أدّى إلى ظهور إنسان عربي هشٍّ، تتناهشه الظروف القاسية، وتحرّكه أهواؤه ورغباته كيفما شاء، ليكون فردا ديستوبيا ينزع نحو السوداوية والانحراف، أو أذية الذّات والآخرين بالقتل أو التّعذيب، أو ممارسة العنف اللفظي أو المادي.

3.4. الاستلاب الثقافي والانبهار بالآخر: تعدّ رواية **اختلاط المواسم** رواية ديستوبية تعرّي المدن التي أفسدتها الحرب الأهلية، أو أفسدها الوباء الفكري؛ حيث عشّشت بعض الأفكار المغلوطة في عقول النّاس واستأنسوا إليها، حتّى باتت لصيقة

بهم، وآمنوا بتلك الأفكار التي أدخلت البلد في عشرية سوداء، تركت المجتمع الجزائري غارقا في الانقسامية والانهزامية والتّبعية.

وقد أشار الكاتب إلى قضية الاتباعية والانبهار بالآخر وبثقافته وتقدّمه، ممّا يخلق إنسانا تابعا لا متبوعا، متأثّرا لا مؤثّرا، ممارسا لسلوكيات ليس لها علاقة بالثّقافة القومية والهوية الوطنية، ومثالها بعض من طبقة المثقّفين أو من يرون أنفسهم "**النّخبة**" من أمثلة أستاذ الفلسفة رشيد الذي يتباهى بعلاقاته الغرامية المتعدّدة مع الأوروبيات، واصفا بنات بلده بالمتخلّفات اللاتي لا يفقهنّ شيئا في العلم أو العلاقات.

لقد ارتمى هذا المثقف في أحضان ثقافة الآخر من دون رويّةٍ ووعي، وافتتن بمنجزاته وحضارته، ومدى ممارسته للحرية والفكر، فقد كان متفتّحا وعصرانيا «**ينتقد الموروث من دون شفقة، يعتبره أصل التخلّف الثّقافي والحضاري الذي نعيشه، يؤمن بالحداثة والعصرنة والعقلانية والقطيعة وكل ما يمكن في هذا القاموس العلماني**» (مفتي، 2019، صفحة 121).

إنّ السبب في نشأة الأمراض الفكرية والفتن والعدوانية في المجتمعات هي حالة الإحباط بعد موقف ما خاطئ أو غامض غير واضح، أو إلى «**رؤية الداعية وجود فرق بين المثاليات التي آمن بها والو اقع المختلف**» (الرّاشد، 2010، صفحة 230) ولكي يتحقّق العلاج والتخلّص من تلك العدوانية كما أسسه (العلاج) **كارل روجرز** معتمدا الاتجاه الإنساني في العلاج النّفسي، «**ويقوم هذا النوع من المعالجة النفسية على أنّها نتيجة للتناقض بين مفهوم الذات المثالي والو اقعي، وهو تناقض ينشأ في أثناء سعي الإنسان إلى تحقيق ذاته، وهو ما حدث لبطل الرو اية القاتل المحترف، عندما لم يجد مبررات لأسئلته الوجودية، مارس العنف في أقسى صوره وهو القتل عمدا وبتفنّن مبالغ فيه**» (الرّاشد، 2010، صفحة 230).

تنتهي الرواية نهاية مأساوية مفتوحة على العديد من القراءات والتساؤلات، وكأنها كوّة صغيرة خفية في الفضاء الديستوبي لمصير القاتل الذي بقي حيا، وموت بقية الشخصيات ، وجنون صادق سعيد، وكأنّ الموت أو القتل هو المهرب والمنفذ الوحيد للحياة، أو أنّ فلسفة القاتل هي نفسها فلسفة قانون الغاب **البقاء للأقوى.** وبهذا كانت الرواية نوعا من أنواع الديستوبية النقدية التي تترك مهربا/ مخرجا من هذا

العالم الفاسد رغم تشاؤمها وسوداويتها، وتشرع بابا للعودة إليه بظروف أخرى. (المصري، 2022)

5. **خاتمة**

من خلال قراءتنا للرواية، نجد أنّها نسجت خيوطها بين واللذة والألم، لتحيك لنا خطابا سرديا دراميا ومأساويا، تبيّن أقصى أنواع الشرّ والظّلم، والأنانية المفرطة، المبالغة في الانتقام التّعذيب، وتصوّر بشاعة الأفكار والمعتقدات الراسخة في اللاوعي ووعي الشخصيات، التي أرهقتها سنوات العشرية السوداء بعنفها ودمارها ودمائها وتشتّت الذّات بين الوجود والعدم ، والخير والشر...

_ إنّ الأدب الدّيستوبي يستوحي من الواقع مأساوية الحاضر، من دون تجاهل للماضي، مع التّحذير من الحنين المفرط للماضي الدّموي.

_ أعلت الرواية من إمكانات الجسد الفردي أو الذات الفردية في مقاومة الواقع نحو مستقبل متجدّدا للقتل والعنف مرة أخرى.

_ برع الكاتب في خلق شخصيات انهزامية -ما عدا شخصية القاتل المحترف أبقاها على قيد الحياة- ترضخ للواقع والرّاهن، تعيش حالة من السّلبية والهروب وعدم المواجهة.

_ إنّ خلق عوالم ديستوبية في الرواية عكس درجة الوعي بمأساوية المأساة، أو مأساوية المكان.

_ سيطرة الوجود الشبحي للقتل والقاتل على وسائل الإعلام، وكأنّه شبح لا يمكن الوصول إليه، ممّا أدّى إلى تفنّن القاتل في التنكيل بضحاياه، بطرق مختلفة ومروّعة.

_ لم يكن أمام القاتل _الذي يمكن أن نطلق عليه اسم "البطل الأسطوري"- إلا أن يتعامل مع مأساته النّفسية والوجودية، مع حاضره على أنّه زمن فاسد ديستوبي، وأن يتبنّى عنه زمنا فاضلا يوتوبيا، ينبثق من ذاته التوّاقة إلى اللذّة، مؤمنا بضرورة الانتقام الذّاتي لتحقيق العدالة والفوز؛ لذا لم يتعامل مع الوضع على أنّه ضحيّة الرّاهن، بل صوّر نفسه البطل الذي يعيد للوطن عزّته وكرامته.

5. قائمة المراجع:

_ الرّاشد ,م .أ .(2010) .*النفس في تحريكها الحياة*، .المملكة العربية السعودية، الرياض :دار الأمة للنشر والتوزيع.

_ العربية ,م .ا .(2004) .*المعجم الوسيط* .مصر، القاهرة :مكتبة الشّروق الدّولية.

_ العشري، ,س .أ .(s.d.) .حول مفهوم اليوتوبيا والديستوبيا كمدخل لالستلهام في فن التصوير المعاصر .*بحوث في التربية الفنية والفنون*)المجلد(12)، العدد1.

_ القريناوي ,ف .ج .(2023) .تجلّيات الديستوبيا في الرواية الجزائرية، "وطن من زجاج "لياسمينة صالح،أنموذجا *Journal of Arabic Language and Literature (JALSL)* . (Vol 2, Issue).

_ القللي ,م .م ,2021) .يناير .(ديستوبيا الوباء في الرواية المصرية _دراسة مقارنة ._ *مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم*)المجلد 13، العدد1،.(

_ الله ,ف .ب .(2020) .فهرس المؤلفات في الوباء والطاعون، دراسة ببلوغرافية .*مجلة الاجتهاد للدراسات الاقتصادية والقانونية*،)المجلد 9، العدد4، .(

_ المصري ,و ,2022) .تشرين الثاني الخميس .(24*أدب الديستوبيا والخيال العلمي الفلسطيني _الحنين إلى المستقبل* sur ,2023 ,10 11 le Consulté . https://www.7iber.com/culture/%D8%A7//

_ الملائكة ,ن .(1998) .*ديوان نازك الملائكة، المجلد الثاني*، .بيروت، لبنان، :دار العودة.

_ خشة ,ع .ا ,2022) .سبتمبر .(الحب في زمن الكوليرا والكورونا بين الشعر والسرد . *مجلة الموروث ,المجلد 10، العدد الأول*.

_ سعيد ,ج .ا .(2004) .*معجم المصطلحات والشّواهد الفلسفية* .تونس :دار الجنوب.

_ شلحت ,أ)) .لا ت" .((أدب النهايات "الإسرائيلي _البدايات والصيرورة !مجلة قضايا إسرائيلية) .العدد.(60

_ عقيل ,ح .(2017 ,02 02) .*جريدة العرب* sur ,2023 ,10 11 le Consulté .أدب المدن الفاسدة يجتاح الروايةhttps://alarab.co.uk :

_ فرويد ,س)) .لا ت .((*ما فوق مبدأ اللذة*) .إ .رمزي (.Trad ,مطبعة دار المعارف.

_ كزيز ,آ ,2022) .مارس .(المرض الفكري الاجتماعي)قراءة في المفهوم .(*مجلة التمكين الاجتماعي* (المجلد 4، العدد 1).

_ مخلوف ,أ .ن .(s.d.) .كيفية مواجهة الأوبئة في ضوء تعاليم السنة المشرّفة وباء فيروس ورونا المستجد)كوفيد (19نموذجا، .*مجلة قطاع أصول الدّين*)العدد .(15

_ مفتي ,ب .(2019) .*اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى* .لبنان :منشورات ضفاف.

_ منظور ,ا .(2008) .*لسان العرب، مادة (و ب أ)*، ج، 15بيروت، لبنان :دار صادر.

_ وغليسي ,ي .(2007) .*مناهج النقد الأدبي، مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها، وتطبيقاتها العربية* .المحمدية، الجزائر :جسور للنشر والتوزيع.

ياحي ,ز .(2022) .أدب الأوبئة بين رصد الواقع واستشراف الوقائع مقاربة في رواية : الطّاعون القرمزي لجاك لندن، *مجلة التواصل ,العدد الخاص، مجلد.28*